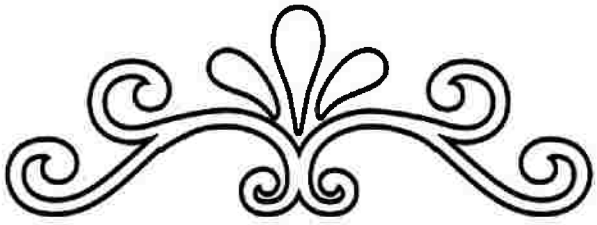

الباب الثالث عشر

إبْداعُ الفوْضَى

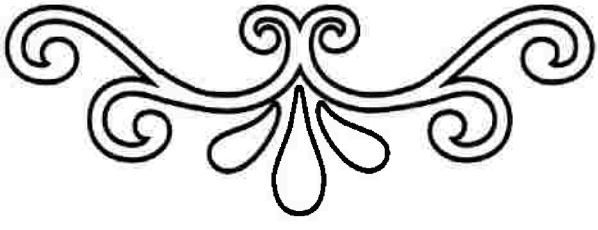

• أردتُّ بهذا الفصل الإجابة على تساؤل مثير للجدل: **هل الدعوة لإقامة دولة ديمقراطيّة هي السبب في هذه الفوْضَى اليوم، ومَنْ وراءها ؟**

تعريف الفوْضَى[1]: هي اختلاط الأمور بعضها ببعض، وتفرُّق الناس، وقومٌ فَوْضَى أي: لا أمير لهم ولا مَنْ يجمعهم، فهم متساوون.

والفوْضَى في العمل تعني: لا هدفَ محدَّدٌ، ولا عملَ متقنٌ، ولا نظامَ مرتَّبٌ، وتعني أيضًا: الارتجاليَّة، وعدم تمام الأعمال.

• **وأصل الفوْضَى في المجتمعات:** عدم وجود حكومة أو سلطة حاكمة، كالشخص الحاكم، أو عدم الاعتراف به مع وجوده.

أو تعني: مُطلق الحريَّة لكل فرد، مما يعمل على إثارة الاضطرابات.

• وهذا ما كانت تعنيه جيدًا وزيرة خارجيَّة المحتلِّ الأمريكيِّ (لأراضي العراق وأفغانستان) بقولها: «**الفَوْضَى الخلَّاقة**».

• **مشكلة أمتنا:** ضمن أكبر المشاكل، وأكثرها خطورة «**مشكلة الخلاف**»، وأقصد الخلاف في المسائل الظنِّيَّة التي يجوز فيها الخلاف، لا المسائل القطعيَّة التي لا يجوز فيها الخلاف، وهذه المشكلة يعقبها مشكلة أخرى وهي: أُحاديَّة النظرة، وإعجاب المرء برأيه وانفراده به، وصلابة الفكر وتحجُّره، ومُصادرة الرأي المخالف، وأخطرها احتكار الحقِّ والحقيقة، فعقلي هو العقل الوحيد الذي تجب أنْ ترجع إليه كل العقول، مما يؤدِّي إلى تضخيم «**الأنا**» فأنا المصيب الوحيد، وأنا الصواب، والصواب أنا، مما يؤدِّي بالمرء إلى الغرور والعُجب والكِبْرِ.. وكلُّها أمراض قاتلة للرُّقيِّ والعُلوِّ والتقدُّم، تؤدِّي إلى هزالة العقول، وتعمل على الفُرقة والاختلاف، والتناحر والتناجز.

أضف إلى ذلك محاولة احتكار المنابر والمواعظ والفضائيَّات، وحُبِّ الظهور، وغرور الشهرة وآفاتها.

---

(١) مجموعة مؤلّفات أدبيَّة مِنْ روائع الشيخ مجدي قاسم (حفظه الله)، وقد استفدنا منها كثيرًا في هذا الباب، وسوف نقوم بطبعها قريبًا إن شاء الله تعالى.

• لذا حذَّر النَّبيُّ ﷺ مِنْ هذه الشُّهرة الزَّائفة، سواء في القول أو الفِكر أو حتَّى اللباس، وفي الأثر: { **مَنْ لَبِسَ ثَوْبَ شُهْرَة أَلْبَسَهُ الله ثَوْبَ مَذَلَّة يَوْمَ الْقِيَامة** }[(١)].

واشترط الفقهاء لزيِّ المسلم والمسلمة: ألَّا يكون لباس شُهرَة؛ وذلك لما يؤدِّي إلى الرِّياء وحبوط العمل، وعدم قبوله عند الله ﷻ لتنافيه والإخلاص لله تعالى، والذهاب به لطلب مدح الناس والثناء عليه والإشارة إليه.

• **أضِف لهذه الأمراض**: الاستبداد بالرأي، ومِنْ أقبح أنواع الاستبداد استبداد المرء بنفسه، بأنَّ يوردها موراد الهلاك والخُسران بسبب اتِّباعه هواه، وإعجابه برأيه.

والاستبداد بالرأي، وإنكار المخالف والتعسُّف معه في التعامل قد يؤدِّي إلى تكريس الشعور بالظلم.

وهذا كله قد يؤدِّي إلى ازدواجيَّة المعايير، وخلط الأوراق، وقلب الحقائق، والنظرة المتعالية على الغير، وهذا مِنَ الكِبر والمكابرة، ومحاولة عَقْلِ العقول، أي: حبسُها وقَهْر أهلها، ومحاولة تصفيتهم أو اعتقالهم.

• والصحيح: أنَّ رأيي - مهما كُنْت أراه صوابًا - فهو يحتمل الخطأ، وصدق الله ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [يوسف].

والصواب: التعاون والتواصل والتفاعل بين العقول على اختلاف مداركهم، مما يضيف لي إضافات جديدة ورائعة، وعلومًا ومعارف وأفكارًا، وأكتسب بذلك خبرات ومهارات الآخرين.

• لذلك قدَّم الإسلام تعريفه للدين في قوله ﷺ: { **الدِّين النَّصيحة** }[(٢)]، وخصَّ هذه الأمَّة بالخيريَّة لإيمانها بالله ﷻ، وعملها الأساسيُّ الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر.

---

(١) أخرجه أبو داود ك: «اللباس» ب: «في لِبْس الشُّهرة» ح: (٤٠٢٩) وابن ماجه ك: «اللباس» ب: «مَنْ لَبِسَ شُهْرَة مِنَ الثياب» ح (٣٦٠٦) عن ابن عمر رضي الله عنهما وحسَّنه الألباني رحمه الله في «صحيح وضعيف أبي داود».

(٢) أخرجه مسلم: ك: «الإيمان»، ب: «بيان أن الدين النصيحة» ح: (٥٥).

وهذا يعني: «الاحتواء» لا «الإقصاء»، فالاحتواء: اعتراف بالمخالف، ومحاولة الارتقاء بقدراته، وتوظيف خبراته ومهاراته ومعارفه بتقديم النُّصح الخالص لله ﷻ، محفوف بالحبِّ في الله تعالى، والحرص على نجاته مِنَ النار، وصلاح حاله وأحواله.

وذلك يؤدِّي إلى لمِّ الشَّمل، ورأب الصدع، وتهدئة الخواطر، وتجميع الفرقاء في بوتقة واحدة لأمَّة واحدة، من غير تسفيه لرأي أو تحقير له، أو إعلاء لرأي دون آخر دون المعايير الرَّبَّانيَّة، والسُّنن الإلهيَّة للعلوِّ والعزَّة والخيريَّة.

أمَّا الإقصاء فإنه منهج يُعمِي ويُصِمُّ عن جهود الآخرين، وفيه تشتيت لها، وشعور منهم بالظلم والقهر لهم.

• ولعل أخطر ما نعاني منه بسبب انعدام هذا العلم وتلك القواعد والمعاني هي محاولة إقصاء أمَّة الإسلام عن تميُّزها عن كل أمم الأرض، بكونها خاتم الأمم، وكتابها خاتم الكتب، ورسولها خاتم الرُّسُل، وكتابها وسُنَّة نبيِّها محفوظة بحفظ الله تعالى لها تميُّزًا عن الأمم السابقة: ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٤]. أمَّاأمتنا: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر].

• لذلك يعمل أعداء الإسلام في كل زمان ومكان، وبكل ما لديهم من إمكانيَّات ومعارف وثقافات على محاولة فسخ وطمس الهويَّة الإسلاميَّة.

❁❁❁

◘ معالم وأسس ومرتكزات الهويَّة الإسلاميَّة:

١- العقيدة الثابتة الراسخة الصحيحة القائمة على التوحيد، ونبذ الشِّرك والكُفر والجاهليَّة، وطرد ومحاربة الخُرافات والخُزعبلات والانحرافات.

فالمسلم يتميز بعقيدة ثابتة راسخة، إن تعلَّمها وعايَشَها كانَ أثبت مِنَ الجبال الرَّاسيات، تزول هذه الجبال، ولا تزول هذه العقيدة مِنْ قلوب أصحابها، عقيدة تُكسِب أصحابَها قوَّة وثباتًا وشيمًا، تجعل حال عدوهم معهم كما وصف القرآن:

﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝٥٠﴾ هذا حال أعدائهم، ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ۝٥١﴾ [المدثر] هذا حالهم.

عقيدة خصَّها الله تعالى بإلقاء الرُّعب والهَلَع والفَزَع والرَّهبة مِنْ أصحابها في قلوب أعدائهم، وقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وقال ﷺ: { نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْر }[1].

• وللمحافظة على هذه العقيدة حرَّم الله تعالى على المسلم أن يُواليَ غيرها، أو أن يتشبَّه بالمشركين، أو يضع نيروزهم، أو يشارك في مهرجانهم، وذلك محافظة عليها، وعلى تميُّزها وعدم تميعها، ومحافظة على أصحابها من الانسلاخ والتميُّع والرِّدَّة.

٢- حُبُّ الله تعالى ﷻ: الذي أرادوا اختزاله في القلب، وجعلوا حبَّ المال والولد والعمل والمرأة والمظاهر منافِسة أو مقدَّمة على حُبِّ الله ﷻ، وجَهِلَ هؤلاءِ الفارق بين الخالق والمخلوق، وأنَّ الله ﷻ يُحَبُّ في منزلةٍ ومكانةٍ فريدةٍ وعزيزةٍ، لكونه الخالق والمالك، ولسائر صفات الكمال والجلال الذي يتَّصف بها دون غيره، ولما يغذونا به من نِعَم وفضل، ولأنَّ المرجع والمآل إليه وحده، والحكم والملك له وحده، والأمر كلُّه بيده، والكلُّ خاضع له.

ولقد بيَّن الله لنا صفات وخلال مَنْ يحبهم هو، ومَنْ يُبْغضهم، فقيمة الجمال، ولذَّة الحياة القيِّمة تكون فيمن يحبُّهم الله تعالى، ويحبُّونه حبًّا متبادلًا، وشوقًا متبادلًا بين العبد وربِّه.

٣- حُبُّ الرسول ﷺ: الذي أرادوا اختزاله في الاحتفال بيوم مولده، وجعلوا لغيره القدوة والأُسوة والطاعة، وتناسَوا الحياة القيِّمة التي يدعونا إليها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال:٢٤]، وتجاهلوا الخير والنَّفع الذي أمرنا به ودلَّنا عليه، وتجاهلوا حقوقه وفضله عليهم، وساروا في شِقٍّ غير الطريق الذي

---

(١) أخرجه البخاري ك: «التَّيمّم»، باب: «قول الله تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا﴾»، ح (٣٣٥، ٤٣٨)، ومسلم ك: «المساجد ومواضع الصلاة» ح: (٥٢٣).

دلَّهم ودعاهم إليه، مُعلنين بذلك - وإن لم يقولوها - رفضَهم للجنَّة التي أعدها الله تعالى لمن أطاع الله ورسوله. قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء].

وقال ﷺ: { كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى }، فَقَالُوا: وَمَنْ يَأْبى يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: { مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى }[1].

٤- حُبُّ الصحابة الكِرَام ﷺ: الذي أرادوا اختزاله مِنْ حياة الأمَّة، وتشويه صورتهم، وتقوية خطر الشِّيعة الطاعنين فيهم، ونَسِي هؤلاءِ أنَّ أصحابَ النَّبيِّ ﷺ هُم المذكورون أولًا في كل آية شملت مدحًا أو وصفًا أو جزاءًا للمؤمنين، وأنهم هم الذين رضي الله عنهم، ورضوا عنه، وأنَّ الله تعالى اختارهم واصطفاهم لصحبة نبيِّه ﷺ، ولحماية ونشر هذا الإسلام العظيم.

وأنهم ﷺ بوابة الإيمان لمن أراد الإيمان بالله ﷻ. قال تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ [البقرة].

• وأننا مأمورون باتِّباعهم. قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة].

فانظر إلى جزاء وثواب من اقتفَى أثرَهم، واتَّبع سبيلهم، رضوان مِنَ الله عليهم، ورِضًى منهم عن الله ﷻ، وأعد لهم الخلود في الجنة والفوز العظيم، فأصحاب محمد ﷺ هم النجوم التي يُهتدَى بها، وحبُّهم آية الإيمان وعلامة صحَّته، واتِّباعهم طريق النجاة،

---

(١) أخرجه البخاري في ك: «الأحكام» ب: «قول الله تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟﴾»، ح (٧١٣٧)، ومسلم في ك: «الإمارة» ب: «وجوب طاعة الأمراء في غير معصية» (١٨٣٥).

وبغضُهم آية النِّفاق والكذب والخِداع والمراوغة.

• بل لقد شدَّد الله تعالى على مخالفيهم، وعلى كُلِّ مَنْ اتَّبع سبيلًا غير سبيلهم، قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء]، فكانَ جزاء كل مَنْ خالفهم واتّبع طريقًا غير طريقهم، وسلك مسلكًا غير مسلكهم، يعاقبه الله تعالى بالخسران والنيران جزاء ما تولَّى عنهم.

٥- حُبُّ العلم، والدعوة إلى الله تعالى: الذي أرادوا اختزالها بإثارة النعرات الجاهليَّة، والفِتَن الطائفيَّة، والتركيز على العلوم الماديَّة، ونسِي هؤلاءِ أو تناسَوا أننا أمَّة ﴿ٱقۡرَأۡ﴾، وأمَّة ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾، وأُمَّة ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾، فنحن أمَّة العلم والبيان، والفهم والقراءة لأحداث التاريخ وتاريخ العالم، والوقائع، وأننا لا خير فينا البتَّة إذا انفصلت المعارف والصناعات التعليميَّة عن علوم الشرع والغايةِ مِنَ الخلق: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١﴾ [العلق].

• وذلك لأنَّ الله تعالى شرَّفنا وكلَّفنا بأن جعلنا خاتمَ الأمم، وكتابَنا خاتمَ الكتب، ونبيَّنا الخاتمَ لكل الأنبياء والرُسُل، فحملت هذه الأمَّة لواء الدعوة إلى الله تعالى، ومشاعل الهداية لكل الناس، وبيان الحقِّ مِنَ الباطل، وجعل الله ﷻ الدعوة والعمل قرينين، فقال جلَّ شأنه: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣﴾ [فصلت]. وقال: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ [يوسف:١٠٨].

فهذا شرف لم يَنَلْه قومٌ غيرنا، ولم تحصل عليه أمَّة أخرى سِوانا، فأرادوا القضاء على هذا التميُّز، وسحبَ هذا الشَّرف بمسح هذه الهُويَّة المميِّزة لهذه الأمَّة فصارت بها خيرَ البريَّة، وخيرَ أمَّة أُخرجت للناس، ونالت بها العزَّة والعلوَّ: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩﴾ [آل عمران]، وقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾

[المنافقون: ٨].

٦- العِفَّة والحياء والرجولة والشهامة والمروءة والتكافل والتراحم والنظام والعمل، والإيجابيَّة والطموح، والتوازن والتكامل، والتي أرادوا اختزالها، فبدلًا مِنْ أنْ نكون علماء وفقهاء ومُفكِّرين ومصلحين صالحين، نكون لاهين عابثين، وجعلوا الطموح في لاعبي الكرة والفنَّانين والعابثين، ونسِيَ هؤلاءِ أنَّ مِنْ أهداف غاية بعثته ﷺ: { إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ }[1]، ولأنَّ هذه الأخلاق فقدوها وأدَّت بهم إلى تكنولوجيا الانحطاط والهلاك، فعزَّ عليهم إلَّا أنْ نكون مثلهم في الانحطاط والخسران.

• ولأنهم فقدوا التراحم والتزاور وصِلَة الأرحام بينهم، فشغلونا بعيد الأم، ويوم اليتيم، وتجاهلوا وتجاهل الكثير منَّا كيف أن الله ﷻ جعل رحمته عند قدم الأمهات. فقال ﷺ لِمَنْ جاءه يستشيره في الغزو، فقال: هل لَكَ مِنْ أُمٍّ؟ قال: نعم. قال: { فَالْزَمْهَا فَإِنَّ الجَنَّةَ تَحْتَ رِجْلَيْهَا }[2]. وقال ﷺ: { أَنا وَكَافِلَ اليَتِيمِ كَهَاتَيْنِ فِي الجَنَّةِ، وَأَشَارَ إِلَى إِصْبعَيهِ، السَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى }[3].

ونسِيَ هؤلاءِ أنَّ أمَّة الإسلام هي التي علَّمت العالم النظام: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤﴾ [الصف]، وما أروعَ الصفوفَ في الصلاة، والدِّقةَ في الأداء، والطاعة والمتابعة في القيادة للإمام، خصالٌ فقدوها، وكاد المسخُ أن يلحق بهم، فعزَّ عليهم إلَّا أنْ نكون مثلهم ونفقد هُويَّتنا المتميِّزة.

٧- مؤسَّسات المجتمع التي أفسدوها ابتداءًا من الأسرة والمدرسة، مرورًا بالوزارات والهيئات المختلفة [كالتعليم العام والخاص، والأزهر والأوقاف، والثقافة والإعلام،

---

(١) أخرجه أحمد (١٤/ ٥١٣)، والبيهقي في «الكبرى» (١٠/ ٣٢٣)، وصحَّحه الحاكم، ح (٤٢٢١).

(٢) أخرجه النّسائي: ك: «الجهاد» ب: «الرخصة في التخلُّف لمن له والدة» ح: (٣١٠٤)، وابن ماجه: ك: «الجهاد» ب: «الرجل يغزو ..» ح: (٢٧٨١) وصحَّحه الألباني رحمه الله في «صحيح وضعيف سنن النسائي» مِنْ حديث معاوية بن جاهمة السلمي رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري: ك: «الطلاق» ب: «اللِّعان» ح (٥٣٠٤)، عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه.

والتربية والتوجيه، وجمعيَّات العمل الاجتماعيِّ، والقضاء، ونُظُم الحكم والسياسات، والبيئة، والزراعة، والصناعة، والتجارة .. إلخ]، وتم صبغها بصبغة علمانيَّة تارة، ثم اشتراكيَّة تارة أخرى، ثم ديمقراطيَّة رأسماليَّة تارة ثالثة، متناسين ومتجاهلين قول ربي ذي الجلال والإكرام: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. وقوله سبحانه: ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ [النور: ٣٥].

وتبدَّلت القِيَم والمفاهيم الصحيحة، حيث قصد أعداؤنا بذلك تفكيك الأمَّة، وأجادوا صناعة افتعال الصراع فيما بين فئاتها.

• وتمَّ لهم جزء مِنْ ذلك، وذلك بتفكيك هُويَّة الأمَّة وتغريبها، وتمَّ تجنيد أجندة الأمم المتَّحدة، البنك الدوليّ، العولمة، منظمة التجارة العالميَّة، حقوق الإنسان، محكمة العدل الدوليَّة، وهَلُمَّ جرًّا.

• وتمَّ تشويه قِيَم الإسلام وقوانينه ونُظُمه في أقطار العالم الإسلاميِّ، وإحلال قيمهم في بلادنا (أي الاحتلال الناعم) دون استعمال سلاح (أي عَمَل غسيل للمخ).

• وتمَّ تجنيد اللُّقَطاء، وهم قومٌ مِنْ جِلدتِنا، يتكلَّمون بألسنتا، قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنسٍ[1].

هؤلاءِ اللُّقطاءُ: يريدون استبدال الهويَّة الغربيَّة بالهويَّة الإسلاميَّة، ومعاداة الإسلام لذاته، ومحاولة القضاء عليه، وأنّى لهم ذلك، والله ﷻ القائل: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الصف].

• وتناسَى هؤلاءِ أنَّ الإسلام هو العامل الوحيد التوحيديُّ لنسيج الشعوب والقبائل، وهو الذي يقي الأمَّة الإسلاميَّة مِنْ خطر التعثُّر والتبعثر، ولا يعترف بالحدود الجغرافيَّة الوهميَّة، ولا بالقوميَّة الإقليميَّة، ولا بالنعرات الجاهليَّة، ولا بالمذهبيَّة، والعرب لم تعرف

(١) كما في الحديث المتَّفق عليه.

توحُّدًا ولا توحيدًا إلَّا بالإسلام، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

وفي الحديث: { لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ }[1]. وقال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران].

• ولهذا أمر النَّبيُّ ﷺ بحقوق هذه الأخوَّة الإيمانيَّة فقال: { لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِع بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْض، وَكُونُوا عِبَادَ الله إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَا هُنَا}، ويشير إلى صدره ثلاث مرَّات، { بِحَسْب امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِم، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُه }[2].

• لقد أمر الله ورسوله بالقيام بحقوق المؤمنين بعضهم لبعض، وبما يحصل به التآلف والتوادُد والتواصل بينهم، والتعاون والتناصر على الحقِّ، وعدم التقاطع والتناحر.

مما أغاظ أهل الكُفر في الأرض قاطبة، ولا يزالون يقاتلوننا في شتَّى الميادين، حسدًا مِنْ عند أنفسهم من بعد ما تبيَّن لهم الحقُّ.

❁ ❁ ❁

• إنَّ الإبداع هو: الجمع بين النصِّ والعقل، بين المنقول والمعقول، بين ما أنعم الله علينا مِنْ نعمة الوحي المعصوم، وما أنعم الله علينا من نعمة العقل المصون.

• أمَّا الفَوْضَى: كما قال الشاعر:

لَا يَصْلُحُ الْقَوْمُ فَوْضَى لَا سَرَاةَ لَهُمْ ... وَلَا سَرَاةَ إِذَا جُهَّالُهُمْ سَادُوا

(والسُراةَ: جمع سريٍّ، وهو الشريف، والمعنى خيارهم وأشرافهم).

---

(١) أخرجه البخاري في ك: «الإيمان» ب: «أَنْ يُحِبَّ لأَخِيْهِ مَا يُحِبّ لِنَفْسِهِ» ح (١٣)، ومسلم في ك: «الإيمان» ب: «الدليل على أنَّ مِنْ خِصَالِ الإيمان أَنْ يُحِبَّ» ح (٤٥).

(٢) أخرجه مسلم: «الطلاق» ب: «تحريم بيع الرجل على بيع أخيه» ح: (١٥١٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

• كلٌّ منهم يريد أنْ يكون مديرًا ورئيسًا وأميرًا وسائقًا، كلٌّ يريد أنْ يكون الجميع له تَبعًا، يُسمَع لقوله، ويؤتمر بإشارته.

• الفَوْضَى عندما يتكلَّم الرُّوَيْبِضَةُ[1]، وعندما يَحكُم الفُوَيْسِقُ (الخارج عن حدود الله تعالى)، وهو تصغير الفاسق الذي يتملَّقه أتباعُه.

• وفي الحديث قال الرسول ﷺ: { **إِنَّهَا سَتَأْتِي عَلَى النَّاسِ سِنُونَ خَدَّاعَة يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِب، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ**} قيل: وما الرُّوَيْبِضَةُ ؟ قال: { **السَّفِيهُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّة** }[2].

وفي رواية: { **التَّافِهُ** }، وفي رواية أخرى قال: { **سَفَلَةُ النَّاس** }، وفي رواية: { **الفُوَيْسَقُ** }.

وفي رواية: { **مَنْ لَا يُؤْبَهُ له** } أي: لا يُبدَى له اهتمام ولا يبالَى به.

• وقد يظنُّ هؤلاءِ أن وسيلة الوصول إلى الإبداع: الفَوْضَى، وخاصَّة الفَوْضَى الممنهجة، أو ما يُسمَّى بالفَوْضَى الخلَّاقة، وهكذا يسمُّونها، وهكذا يُريدون.

والفَوْضَى الخلَّاقة كما ذكرَتْها وزيرة الخارجيَّة الأمريكيَّة عام ٢٠٠٦م مصطلح قديم موجود في أدبيات الماسونيَّة القديمة، وأحسن تعريف وتوصيف لهذا المصطلح هو: «فلسفة سياسيَّة تعمل على تحويل دولة إلى حالة مِنَ الفَوْضَى، بحيث يتم تدمير أو تقليل سلطة القانون التي تربط المجتمع الواحد في الدولة»، وتُوْجِد هذه الفَوْضَى حالة جديدة مِنَ النظام، وتفرض أمرًا واقعًا يكون هدفه الرئيسيُّ إسقاط النظام الذي لا يواليهم ويُحقِّق أهدافهم ومخطَّطاتهم، وطرق الفَوْضَى منها السِّلْميُّ، ومنها العنيف.

• وتعمل على تحويل دولة إلى حالة من الفَوْضَى، حيث يتم تدمير أو تقليل سلطة القانون التي تربط المجتمع الواحد في الدولة، وتُوجد هذه الفَوْضَى حالة جديدة مِنَ

---

(١) الرويبضة: السَّفيه التَّافه العاجز الذي يعجز عن معالي الأمور، ويتكلم في شأن العامة، ويدَّعي علم كل شيء.

(٢) أخرجه أحمد (١٣/ ٢٩١)، وابن ماجه: ك: الفتن، ب: الصبر على البلاء، ح (٤٠٣٦)، عن أبي هريرة ﷺ، وصحَّحه الألباني.

النظام، وتفرض أمرًا واقعًا يكون هدفه الرئيسي إسقاط النظام الذي لا يواليهم ويُحقق أهدافهم ومخططاتهم، وطرق الفَوْضَى منها السلميُّ ومنها العنيف.

• ويجب ملاحظة أنَّ مصطلح الفَوْضَى ظهر بعد مصطلح «**صدام الحضارات**» الذي لم يلقْ قبولًا، فأخرجوا المصطلح الآخر «**الفَوْضَى الخلَّاقة**» لإيجاد الصدام مِنْ داخل فئات المجتمع نفسه.

فهذه مصطلحات خرجت أساسًا لتدمير المجتمعات الإسلاميَّة.

• والفَوْضَى لا تُوصَف بأنها «**خلَّاقة**» بقدر ما تكون مدمِّرة وهدَّامة، لكن أنصار الفَوْضَى يرون غير ذلك، فقد يسمُّونها «**الفَوْضَى البنَّاءة أو التدمير البنَّاء**».

• إنها صناعة الكذب وصياغته في عقول السُّفهاء!

• إنها صناعة الأزمات وإثارة الفِتَن!

• إنها صناعة النَّعرات والعنصريَّة والعرقيَّة والطائفيَّة والفئويَّة.

• إنها صناعة الجهل، ونسيان تجميع الإسلام لنا بعد فُرقة وشَتات.

• وهناك الفَوْضَى العبثيَّة الصبيانيَّة التي تضرب في أيِّ شيء، وفي كلِّ شيء، وتخرِّب أيَّ شيء، دون هدف، أو سعيًا وراء دراهم محدودة، أو العَبَث للعَبَثِ.

• يستحيل أنْ يكون للفَوْضَى «**إبداع**»، لأنَّ الإبداع يعتمد على مكوِّنات منها:

وجود عمل إبداعيٍّ (مِنْ غير مثال سابق)، يعقبه عمليَّة إبداعيَّة، يقوم بها شخص مُبْدِع، يمثِّل موقفًا إبداعيًّا، يحوز إعجاب الناس والثناء عليه والانتفاع به.

• وهو هِبَة الله ﷻ الذي: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

• فالإبداع: أنْ ترى ما لا يراه الآخرون فيما ينفعهم.

• والإبداع: هو تنظيم الأفكار وظهورها في بناء جديد.

• والإبداع: طاقة عقليَّة هائلة تنبع مِنَ الفطرة السليمة، تنمو في المجتمع وتزدهر، إنسانيَّة في انتمائها.

• والإبداع: هو القدرة على حلِّ المشاكل بأساليب جديدة ومفيدة.

• والإبداع: إنتاج عقليٌّ جديد ومفيد وأصيل، إنه عمل الشيء بطريقة أخرى جديدة ونافعة، أو إعادة شيء وصياغته بصياغة جديدة جميلة، إنه تطوير الفِكْر .. تطوير النظر.. تقييم العمل القابل للتطبيق، إنه التفكير المنطقيُّ السليم بعيدًا عن الخيال.

• يمكنك أنْ ترى بخيالك ما لا يراه الآخرون، لكنك إذا كنت مُبدِعًا تستطيع تحويل هذا الخيال إلى أفكار تظهر في بناء جديد انطلاقًا من عناصر موجودة.

إنه البحث عن الأفكار الجديدة الرائعة، أو توليد أفكار عكسيَّة من أسهل الطرق، كأنك تفكِّر وتنظر في الهزيمة والفشل على أنها نصر ومحاولة للنجاح، وتنظر للمحنة على أنها مِنْحة، تبحث عن مواطن الخلل والتقصير والسلبيَّات، كمَنْ يُبتلَى فيقلِّب صفحات حياته ليعلم مِنْ أينَ أوتِيَ فيتوب.

ويمكن أنْ نُعَبِّرَ عن الإبداع بأنه ثنائيَّة الجمع بين الهدم والبناء، بين التحليل والتركيب، بين الخيال والواقع، بين المحافظة على التراث والتجديد (الأخذ بالجديد دون الانبهار به)، بين الالتزام بالوحي (القرآن والسُّنَّة) **[الذي هو أغلى ما في الدنيا]**[1] والتطبيق، وإبداع العقل في الفهم والتطبيق.

• العاجز الأحمق هو المستنكِر لأصوله وجذوره المقطوع عنها، الذي يسعى إلى تشويه الواقع، ووأد كل أصيل مهما كانت مكانته، وذلك تحت وطأة الانبهار بالإنجازات العلميَّة والتقدُّم الماديِّ، رغبة في:

• **الأمركة:** أي عمل الأشياء بما يتوافق مع الأهواء والمصالح الأمريكيِّة.

• **أو الأوربة:** أي عمل الأشياء بما يتوافق مع الأهواء الأوروبيَّة.

• **أو العولمة:** أي عمل الأشياء بما يتوافق مع النظام العالمي الجديد.

• إنهم كالخُشُبِ المسنَّدَة التي لا نفع فيها، تُعجَب بأجسامهم وأقوالهم ثم تجد هذه

---

(١) هذا الوحي لو أضعناه أو أودعناه عالم النسيان لشعرنا بالحسرة والندامة، وحصلنا الخسران والنيران.

الأقوال والأجسام خالية عن النفع وعديمة الفائدة، لا نفع ولا خير فيهم.

قال تعالى في المنافقين: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾ [المنافقون].

إنها أحلام العصافير في أجسام البِغَال، والعجيب: أنهم يجدون مَن يستجيب لهم.

• إنَّ هؤلاءِ يليق بهم أن يتَّصفوا بالمتناقضين، والوصوليِّين الانتهازيِّين، ممن يُسمُّون أنفسهم بالنُّخبة أو الصَّفوة، وهم في الحقيقة ليسوا بـ(نخبة ولا صفوة)، ولا يمثِّلون شعوبهم، إنها نماذج متكبِّرة عن الحقِّ ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٣]، كما قال الله ﷻ. أي: أفئدتهم فارغة، كالهواء في الخلوِّ مِنَ العقل والإدراك.

الذين يعانون من أمراض (الشعور بالعظمة والعَجرفة)، والنرجسيَّة السَّادِيَّة (وهي الحصول على اللَّذَّة والمُتعة بتعذيب الآخرين).

فلا يرى أحدهم سِوَى نفسه، ونفسه هي محور أفعاله، وهدفه الرئيسيُّ تحقيق ذاته على حساب الآخرين.

• وكثير مِنْ هؤلاءِ يُحب أنْ يَنسُبَ نفسَه إلى العَلمانيِّين اللادينيِّين، ويقوم بفصل الدين عن نشاطه اليومي وسائر أعماله وتعاملاته وسياساته، وهم مستغرِبون منتمون قَلْبًا وقَالِبًا للغرب، متشدِّقون، متفيقهون، متنطِّعون، متهوِّكون، يهرِفون بما لا يعرفون، جهلة بدين الله، وأشدُّ جهلًا بمصالحهم وما يضرُّهم وما ينفعهم.

كما أخبرنا النبيُّ ﷺ بقوله: **{ إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي فِي الآخِرَةِ مَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي فِي الآخِرَةِ مُسَاوِيْكُمْ أَخْلَاقًا، الثَّرْثَارونَ الْمُتَفَيْهِقُون الْمُتَشَدِّقُونَ }**[1].

والمتفيهقون: هم المتوسِّعون في الكلام من غير احتياط واحتراز.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٩/ ٢٦٧) واللفظ له، والترمذي: ك: «البِرِّ والصِّلة» ب: «ما جاء في معاني الأخلاق» ح: (٢٠١٨) عن جابر بن عبد الله ﷺ.

والمتشدِّقون: هم المستهزءون بالناس.

• إنَّ مُروِّجي هذه الفَوْضَى هم أصحاب البلطجة الفِكْريَّة المعاصرة، والأوهام الزائفة، كأنَّ أحدهم هو المُفكِّر العبقريُّ الأوحد، وهو وحدَه الذي يفكِّر ويفهم ويحلِّل، وهو وحدَه الذي يمكن أن يصل إلى الصواب، ولا يمكن لغيره أنْ يكون ذلك، إنه وحدَه محتكِر الحقِّ والحقيقة!!

إنها حقًّا الفرعنة الفكريَّة التي تسير على مبدأ أو نظريَّة فرعون الذي قال: ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾ [غافر].

ومثل هذا يَبْذر الأوهام حوله، ويُسمِّم الجوَّ مِنْ حوله، ويثير ويبشِّر بالأزمات المفتعلة، كمن حكم البلاد بالاستبداد والاستعباد وسرقة ثروات وأموال البلاد، وكل حين يقول: مشكلة زيادة النسل، الانفجار السكانيُّ الرهيب، محاربة الإرهاب والتطرُّف.

ومثل هذا يظل طوال حكمه خائفًا، يطعن فيمن حوله، ولا يسلم مِنْ ذلك إخوانه، ولا أساتذته ولا معلِّموه، وأحيانًا قرابته أيضًا.

وصدق قول الرسول المعلِّم ﷺ: { **المُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ** } [1]. فكم من هؤلاءِ أصابهم العُجب والغرور لما صدَّقوا مَن يمدحونهم بما ليس فيهم.

ومِنَ المستحيل أنْ يكون هناك إبداع فكريٌّ يقوم على هدم الثوابت والمقدَّسات والقِيَم الشامخات، أو يقوم على حبِّ إشاعة الفواحش، أو يقوم على هدم الرموز والقامات الشامخة والعُلماء والمبدعين والمفكِّرين في الأمَّة الإسلاميَّة قديمًا وحديثًا.

• كما تحاول أنْ تفعله تلك الأجنَّةُ المَشَوَّهَةُ المشبوهةِ مِنْ بني جلدتنا ممن كبرت عندهم الأنَا والنَّرْجِسيَّة، مِنْ حُثَالة أصحاب الفِكْر المشبوه والأجندات العميلة أنْ يقوموا بتزوير الوعي وتزييفه، كما قاموا بتزوير الانتخابات، كما حاولوا استيراد مصطلحات فاسدة لا تَمُتُّ بصلة إلى ديننا ولا وطننا، كما قاموا باستيراد لحوم فاسدة

---

(١) مِنْ حديث متفق عليه.

وبذور مُسَرْطَنَة.

إنهم يحاولون إلقاء تهمة تخلُّفنا وتراجعنا إلى أنَّ سبب ذلك هو ديننا، مع أننا ما تخلّفنا إلَّا يوم أنْ تخلَّيْنا عنه.

إنها فَوْضَى الدعاية السوداء التي تقوم على البحث عن أخطاء الآخرين، بل وإلصاق التُّهَم بهم، أو تقوم على بناء وإعلاء أصنام ورموز قميئةٍ مُشوَّهَةٍ، ونثر هالات التقديس الزائفة عليها.

غرورٌ بالنَّفْس، وإعجابٌ بالرأي، وكِبرٌ على الخلق، وسوء ظنٍّ بالآخرين، إبداعه الفكريُّ يدور حول السفسطة والمراء والجدال في كل ما لا طائل من ورائه، وما لا ينبني عليها عمل، ولا يثمر إلَّا الحنظل، واتباع الهوى المطاع الذي يوجِّه الآراء والأفكار، والذي يُوقِعُ في الشبهات والتأويلات الفاسدة.

• ولا ننسى أنَّ هناك إبداعًا في النِّفاق، وإبداعًا في نشر الشِّقاق والفِتَن، وإبداعًا في التشدُّد والتنطُّع، وعكسه الإبداع في التساهل في أمور الدين بغير دليل، والفتوَى بغير علم، والإبداع في أكل الحقوق، والإبداع في تصدير البطالة، والإبداع في تخريب العقول والعبث بها، والإبداع في إثارة الشبهات، والإبداع في تحريك الشهوات والانغماس فيها، وهناك الإبداع في الترف، والإبداع في الانسياق وراء الفتن والغرائز والعُرْي الماجن بكافة صوره وأشكاله [تحت مزاعم حماية الإبداع]، والإبداع في توخِّي الحريَّات غير المنضبطة [تحت مزاعم حماية الحريات الشخصيَّة]، وهناك الإبداع في الفبركة، وادِّعاء علم كل شيء، والفهم في كل صنعة ومهنة بالفهلوة [وفي التصريحات المتعارضة والمتناقضة والكاذبة، وفي التصريحات العنتريَّة]، والإبداع في فَوْضَى التهويلات والمبالغات والشائعات، ورفع الشعارات البرَّاقة الجوفاء، والإبداع في خلط الأمور والأوراق، وقلب الحقائق والمسلَّمات [فتُسَمَّى الخمرُ مشروبًا روحيًّا، والرقصُ الشرقيُّ فنًّا، والزِّنا بالاختيار حريَّة شخصيَّة، والعُرْي حضارة ..]، والإبداع في لبس الأقنعة وتغييرها والسباحة مع التيار، والإبداع في السَّرِقات العلميَّة والقرصنة الفكريَّة،

والإبداع في سرقة أموال الشعوب وثرواتها، والإبداع في المتاجرة بالآمال والأحلام، والإبداع في علْمَنة التعليم والثقافة والإعلام، والإبداع في محاولة تبرير كل ذلك، وتبرير الفَوْضَى والعشوائيَّات.

• وهناك من يقوم إبداعه على الابتداع في الدين، ونشر الضلالات، ولا يُبدِع أو يَبتدِعُ شيئًا في الدنيا.

إنه البُكاء على الأطلال، وفَوْضَى الغوص في قاع الرذيلة والأوهام بلا ضابط أو رابط (همجيَّة معاصرة) تسارع بنا نحو الانهيار الأخلاقيِّ، وهدم البنيان الاجتماعيِّ للمجتمع، إنه ليس مِنَ الإبداع في شيء، إنه الانهيار في كافَّة المجالات الإنسانيَّة والاجتماعيَّة والسياسيَّة والثقافيَّة وغيرها.

• إنه الإبداع في (الفساد والإفساد)، فساد في الذِّمم والضمائر، وإفساد في أرجاء المجتمع ومناحي الحياة، وصدق فيهم قول ربي ذي الجلال والإكرام: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [البقرة]، إنه التقدُّم إلى الخلف، والصعود إلى الهاوية.

• الكثيرون يُفتَنون ويتغَنَّوْن بشعار (الحريَّة)، ويفسِّر كلٌّ منهم (الحريَّة) على هواه مثل الليبراليِّين، ويُروِّج لها أعداء الإسلام وخاصَّة: الفوضويِّين الأناركيِّين[1].

---

(١) «أناركي»: كلمة يونانيَّة قديمة تعني حرفيًّا: لا حاكم أو سلطة.
فـ«الأناركيَّة»: (اللاسُلطويَّة) فهي فكرة تدعو إلى مجتمع «دون رؤساء» أو «دون سُلطة» فهي تهدف لإزالة سلطة الدولة، ويؤمنون بأنَّ المجتمع يجب أنْ يدير نفسه بنفسه مِنْ خلال المنظمات التطوعيَّة بلا حكومة أو رئيس، أي: حالة اللا دولة.
ومِنْ مبادئهم: أنها لا تعترف بالجيوش والقوات المسلحة، وتعمل على إلغائها وإسقاطها، وتهاجمها بعُنف، وتلك الأفكار الشاذة تُنافي العقل والمصلحة والمنطق، لأنَّ الدولة بغير جيش تُصبح مَطْمَعًا لكل الدول المحيطة بها. وقد استخدمت الكلمة في الكتابات الغربيَّة لتشير إلى حالة بلد أو إقليم حال تفكُّكه، أو سقوط السلطة المركزيَّة المسيطرة عليه، مما يؤدِّي إلى صعود قوى مختلفة تتصارع لتحل محلها مُحْدِثَةً حالة من فَوْضَى الحرب الأهليَّة، ومِنْ ثَمَّ أصبحت الكلمة في اللغات الأوروبيَّة المختلفة مرادفة لكلمة (فَوْضَى).

• لقد فرَّق رسول الله بين الحريَّة والفَوْضَى في قوله ﷺ: { **مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا** }[1].

فيخطئ مَنْ يستبيح بـ(الحريَّة) كلَّ شيء دون ضوابط، فهذا الفهم يسوق المجتمع إلى الخراب والدَّمار.

• وما زلنا مع «**فَوْضَى الإبداع**»: فهناك الإبداع في الانتقام والقهر والقمع واستحداث وسائل التعذيب، والملاحقة والنفي، واتخاذ المخالِف عدوًّا (من ليس معنا فهو ضدَّنا)، ومحاولة تحطيمه (الفجور في الخصومة)، وهي من صفات المنافق.

• وهناك الإبداع في التسارع والتنافس بين الحيتان على جمع رؤوس الأموال لأكل الأسماك الصغيرة، إبداع في جمع الأموال (مِنْ حلال أو حرام)، وسحق الفقراء واستعبادهم.

• وهناك ومع فَوْضَى الإبداع مَنْ يَتوه في بيوت (العنكبوت الديناصوريَّة الخياليَّة)، العالم الخياليّ للشبكة الدوليَّة العنكبوتيَّة (الإنترنت)، وأصبح ممسوخًا فاقد البصيرة، وفاقد الذاكرة التاريخيَّة، وعائش خارج ذاته نتيجة تفكيك ذهني كان عصيًّا على النفاذ، وأصبح واقعه ذرات وأرقامًا عبثيَّة ماديَّة، فقد الإنسان فيها إنسانيَّته وقيمته وحميميَّته لأخيه الإنسان، وترتَّب على ذلك غربة ذهنيَّة وفكريَّة، واستبعاد اجتماعيٌّ ومجتمعيٌّ، حتَّى من أقرب الناس إليه (أهله وذَويه).

• إنه الإبداع في فَوْضَى ثورة العولمة التي لا تعني إلَّا التبعيَّة المذلّة المهينة، بأنْ يصير العالم قرية واحدة فمن يحكم ؟!

---

(١) أخرجه البخاري ك: «الشركة» ب: «هل يقرع في القسمة والاستهام فيه» ح (٢٤٩٣) مِنْ حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

بالطبع المتغلِّب المنتصر، أو على الأقل التهجين الذي يؤدِّي إلى ذوبان الولاء والبراء، والمداهنة في دين الله تعالى، والله سبحانه يقول: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩﴾ [القلم].

• إنه العيش في متاهة اللاتاريخ، واللاحاضر، ولا سبيل لإنقاذ أمتنا وبلادنا الإسلاميَّة إلَّا بالمحافظة على هُويَّتنا من الذوبان، والجمع بين الأصالة والمعاصرة، والاستفادة من العالميَّة بما يتوافق مع مصالحنا وقيمنا.

• إننا نريد الإنسان الذي يحمل ميراث النبوة، وإرث أمته الدينيَّ والحضاريَّ، ويحافظ على الهويَّة والتميُّز المساهم في السعي إلى الأفضل لتقدُّم أمَّته على ركب الأمم.

• إننا نريد تطهير النفوس، واحترام العقول، فليس كل قديم مقدَّسًا، وليس كل جديد إبداعًا، فلا بُدَّ من الانتقاء والترشيح والترشيد.

• نُريد بعثًا حضاريًّا لتحديد هُويَّة الأمَّة الإسلاميَّة، وبناء مستقبلها، انطلاقًا من خير الماضي ومحاسنه، وأفضل ما في الحاضر وتوازنه.

• نُريد الإبداع في العمل والإنتاج والابتكار.

• نُريد إعلاء القِيَم والمبادئ والأسس القائمة على الحقِّ والصدق والأمانة والإخلاص والشرف الذي ينبثق مِنَ التوحيد والعقيدة الإسلاميَّة والإيمان بالله تعالى الذي ميَّز الله سبحانه أصحابه بـ«**الأعلون**» وبـ«**الأعزَّة**»، وبـ«**الخيريَّة**»، وبـ«**خير أُمَّة**».

• نُريد دراسة الأخطاء وإيجاد الحلول الصحيحة لها دون محاولة الوصول إلى شماعة لهذه الأخطاء، وأنْ نذر أحلام اليقظة، ونضيء النور الذي يُبدِّد الظلام لبناء المستقبل.

• إن خارطة الأمل تبدأ بالإنتاج، ومنه الثراء الفكريُّ، وتوحُّد الصف، ونبذ الفَوْضَى.

❁ ❁ ❁

◘ من أين نبدأ ؟ ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣].

• مِنَ السُّنن الإلهيَّة أن الله ﷻ لا يُغيِّر ما بنا مما نكره إلى ما نحبُّ إلَّا إذا:

ـ **تغيَّرنا** مِنْ مخالفة شرعه إلى طاعته، ومِنَ السلبيَّات إلى الإيجابيَّات.

ـ **وتغيَّرنا** مِنَ الجهالة والفَوْضَى إلى التأصيل العلميِّ والتخطيط القائم على البصيرة للأعمال والبرامج والوسائل.

ـ **وتغيَّرنا** مِنَ الهروب إلى المجابهة الصريحة للعِلَلِ، ومعرفة وكشف طبيعة الأسباب الفاعلة في الأحداث، وتعيين مداها وتأثيرها، والخلوص إلى اللباب النقي مِنْ بين أكوام الرُّكام الغَثِّ، والعمل على تطوير الذات وبنائها عقليًّا ومعرفيًّا وعمليًّا وتربويًّا.

• إنَّ حاجتنا ملحَّة إلى التأصيل الثقافيِّ الحضاريِّ والمنهجيِّ المرجعيِّ، مع ضمان الاستمرار وقوة الدفع، بعد القضاء على اليأس والقنوط، والبعد عن التكاسل والتخاذل والهزيمة النفسيَّة.

• لا بُدَّ لنا مِنَ التعامل مع الواقع بعد استيعاب المتغيِّرات الكثيرة والسريعة مِنْ حولِنا (محليًّا وعالميًّا)، وتحويله إلى نصٍّ جديد وإلى ميدان للفعل، والدخول فيه دون الهروب منه تحت الأرض أو خارج الأرض والتمرُّد عليه أو الانخراط فيه فوق الأرض.

• لا بُدَّ لنا مِنْ صياغة الأوليَّات[1] وحُسن ترتيبها، والسعي إلى تحقيقها، وبذل كل الجهد المستطاع، وترسيخ الثوابت، وتمييز الصفوف، ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢].

• لا بُدَّ مِنَ النهوض بالعمل، واستكشاف آفاقه ومجالاته، فقهًا متكاملًا يجمع بين

---

(١) هذه الأوليّات في شئون الدنيا، وليس في أمور الدين، لأن الدين كله أوليّاتٍ، لا يتجزأ، تحكمنا قاعدة: لا تحقرن من المعروف شيئًا، وأنك لا تدري أين يكمن رضا الله تعالى أو غضبه، والله ﷻ قد عاب على من جزَّأ الدين. فقال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥].

الأصالة العلميَّة والتجربة العمليَّة التي تضبط الواقع المُعاش، مع قطع جذور وروافد الخلاف، وبتر مَنْ ينشرها، وذلك بعد تحديد نقاط الخلاف والعمل على محاصرته، ونبذ أسباب الفُرقة والشِّقاق بما فيها من بدع وأهواء وأوهام وتعصُّب لغير الحقِّ بكافة صوره وأشكاله.

• لا بُدَّ لنا مِنَ المحافظة على العقل السليم بعد تغليفه برموز وسلاسل وأغلال «**الاستحالة**» (مستحيل أن يحدث كذا ..) علينا أن نفرِّق بين ما هو صعب ومع ذلك فهو ممكن. وبين ما هو مستحيل.

• علينا أنْ نحترم الآراء والأفكار والمفاهيم والمقترحات الإيجابيَّة البنَّاءة.

• علينا ألَّا ننسى المجد التليد من الماضي وحتى الأمس من أنوار العزَّة وعهود الانتصارات والفتوحات، ونعمل على إحيائه، لا ما نحياه اليوم من هزائم وانكسارات وانتكاسات وانهزاميَّة وذِلَّةٍ وتخلُّف، والخلوص من هذه الظلمات المدلهمَّة التي تجثُم على أنفاس الأمَّة.

• علينا أنْ نقطع الطريق على كل مَنْ يدَّعي أو يقول إنَّ هذا الماضي هو: سبب تخلُّفنا ونكباتنا المخزية، ويطالب بالارتماء في أحضان الغرب الممثِّل لركب الحضارة والتمدُّن والرُّقيِّ.

فقد لهثت الأمَّة منذ سقوط الخلافة وحتى اليوم وراء الغرب فماذا كانت النتائج؟!

• علينا أنْ نفهم ونعي أن بين الماضي والحاضر .. وبين القديم والحديث.. وبين التقليد والتحدِّي.. وبين الأصالة والمعاصرة.. وبين الشرق والغرب.. وبين الوافد والموروث. وبين ما هو عربيٌّ وما هو غربيٌّ.. بين هذا وذاك، وبين المواءمة بينهما، تتعدَّد الآراء والأيدلوجيَّات والنظريَّات المختلفة، وتتصارع.

• والذي لا شكَّ فيه ولا ريب أنَّ مع كل هذا الزَّخم مِنَ التناقضات تجتمع الآراء على رفض هذا الواقع المرير النَّكِد الذي نحياه، وعلى حتميَّة التغيير.

لا بُدَّ مِنَ التعرُّف على هذه السُّنَّة الإلهيَّة في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ

﴿يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾ [الرعد].

ذكر أهل التفسير في بيان هذه السُّنَّة الإلهيَّة أنَّ الله تعالى لا يغيِّر ما بقوم حتَّى يقع منهم تغيير، وأنَّ الله تعالى لا يُغيِّر ما بقوم مِنْ عافية ونعمة فيزيل ذلك عنهم ويُهلكهم حتَّى يغيِّروا ما بأنفسهم من ذلك بظلم بعضهم بعضًا، واعتداء بعضهم على بعض، فتحلَّ بهم حينئذٍ عقوبته وتغييره.

فالله ﷻ لا يغيِّر ما بقوم من النعمة والعافية حتَّى يُغيِّروا ما بأنفسهم من طاعة الله جل وعلا، إلى معصيته، ومخالفة أمره.

أي: لا يسلُب نعمة أنعمها عليهم حتَّى يُغيِّروا ما كانوا عليه من الطاعة والعمل الصالح، وهذا واضح في مواضع أخرى، مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى] (١).

• وهذا التغيير ينبع مِنْ ذات الإنسان، وكذلك الأمم، يأتي التغيير مِنَ البَيْنُونة الداخليَّة له، أي: مِنْ داخله، لأنَّه لو أتى مِنْ خارجه لكان احتلالًا ومسخًا.

• يأتي التغيير مِنْ الداخل فتتفاعل الأفكار في النفوس والعقول مما يُنشيء دافعًا داخليًّا يترتَّب عليه دافع سلوكيٌّ عمليٌّ مما ينتج تحوُّلًا حضاريًّا بجميع أشكاله وصوره.

هذه الأفكار يجب أنْ تكون غير ملوَّثة (أي نقيَّة) تنبعث مِنْ ديننا، لها جذور عميقة في تربتنا مع فاعليَّتها في السلوك والحركة.

• فالسقوط والنهوض داخليٌّ في المقام الأول، وأسباب التخلُّف الداخليَّة قد تكون أشدَّ فتكًا بأوصال الأمَّة من مؤامرات أعدائنا التي لا تتوقف.

• لذلك يلزم تحديد الأسباب والأهداف والاتجاه قبل البدء في أيِّ تحرُّك، مع الدراسة المتأنيَّة والواعيَّة.

---

(١) راجع تفسير هذه الآيات مِنْ سورة الرعد في تفاسير: القرطبي، والطبري، وابن كثير، وأضواء البيان.

• لا بُدَّ لنا مِنْ اختراق طبقات الحقيقة، ومساعدة العقل على رؤية الأشياء على ما هي عليه دون تضخُّم أو تقزيم، لا بُدَّ مِنْ تجاوز مرحلة الارتجال والاجتهادات الفرديَّة.

• لا بُدَّ من الاعتماد على الدراسات العلميَّة الجادة والواعيَّة، وعدم التأثر بالأوهام والولوج في الأحلام والخيارات، أو حتَّى ما يقوم على المثاليَّة المجرَّدة المحلِّقة عاليًا، وهي بعيدة عن أرض الواقع.

• مطلوب استشراف المستقبل برؤية واعية ومدركة وعالمة بالإمكانيَّات المتاحة، وراصدة للتحدِّيات والعقبات المتوقَّعة، وعلى كافة الأصعدة، وقبل هذا كله مؤمنة بربها، واثقة في توفيقه ونصره ومعيَّته.

• مطلوب الوصول إلى مجموعة مِنَ المفاهيم التي تشكِّل الصورة الذهنيَّة الصحيحة للمؤمن القويِّ الفعَّال.

• ومطلوب إيجاد حلول لكل ما يواجه الأمَّة من أزمات ومشاكل (أفرادًا وجماعات)، وتشكيل منظومة مترابطة مِنَ الوعي والفهم العمل والعطاء تدفع الأمَّة نحو الأمام بخطًى ثابتة وواثقة.

• لا بُدَّ مِنْ معرفة الأسباب التي تؤدِّي إلى هذا وذاك، ووضع اليد على مصادر الأوجاع والأسقام، وتطبيبها أو استئصالها، والقضاء على رمزيَّات الانحطاط، ومعالجة الأدوار برؤية عقديَّة صحيحة، والقضاء على عوامل التخلُّف والسقوط بمطاردة الجهل، ومحاربة الخرافات، والأخذ بأسباب وسنن النهوض، والوصول لآليَّات التقدُّم وتملّكها واستعمالها والبراعة فيها، بل وابتكارها وتطويرها على أسس متينة من عقيدتنا الثابتة، وثقافتنا الذاتيَّة المعتمدة على تراثنا الأصيل، القائم على أسباب نهضة أمتنا ألا وهو (القرآن والسُّنَّة).

• مع النظر لمدى التأثير الهائل الذي أحدثه الأصلان (القرآن والسُّنَّة) في البيئة العربيَّة والبنية العالميَّة، حيث كانَ (القرآن والسُّنَّة) أساس الحضارة والرُّقيِّ والتقدُّم.

❁❁❁

▫ رؤية جادة:

١- لا نُريد التغنِّي بأمجاد الماضي السعيد، ونتقوقع حول الذات في شرنقة هذا الماضي، بدون عمل وجدٍّ ومثابرة وإبداع عمليٍّ وعطاء متجدِّد، ولا بُدَّ مع هذا مِنْ إصرارنا على الحفاظ على الهُويَّة الإسلاميَّة والعربيَّة، وعدم الانسلاخ مِنْ جِلْدَنا.

٢- كما أننا مع ذلك نرفض الانبهار بالغرب، والتبعيَّة له، مع تيارات العولمة الجارفة، واعتباره نمطًا أوحد للتحديث، ونموذجًا للثقافة العالميَّة مضاهاة لعالميَّة الإسلام.

وقد يؤدِّي بنا هذا التيار الجارف إلى الاعتداء على الشرع، وعلى الصحابة والعلماء، مِنْ قِبَلِ أبناء جلدتنا مِنْ بائعي الدين بعرض مِنَ الدنيا زائل، المرتمين في ذِلَّة ومهانة على أعتاب الغرب، اللاعقين للأحذيَّة، المروِّجين لفتنة التشكيك والإرجاف والشائعات، والمتاجرة بالهفوات والسقطات، بعد تكبيرها وتسليط الضوء عليها.

٣- لا نرفض الأخذ عن الغرب كل ما هو مفيد ونافع بعد ترجمته إلى لغتنا وأهدافنا، أخذًا يقوم على مبادئنا وقِيَمِنا، وعلى مرتكزاتنا الأصيلة الراسخة، ورصيدنا العقلانيِّ والدعويِّ والثقافيِّ والروحيِّ والاجتماعيِّ.

٤- طرح ونبذ أفكار التغريب، والمشاريع المشبوهة المملاة علينا مِنَ الخارج، والتي تتلقَّفها الفئات الضالة مِنْ أبناء جلدتنا.

٥- نبذ الانهزاميَّة واليأس والقنوط الموقِعة في التبعيَّة والسقوط.

٦- بعقليَّة ناضجة واعية نقوم بأداء رسالتنا المنوطة بنا، لكوننا خاتم الأمم، ورسولنا خاتم الرُّسُل، وأمَّتنا آخر الأمم، وتحمّلنا ميراث النُّبوَّة، ومسئوليَّة هداية الناس لربِّ العالمين، هذه رسالتنا ودعوتنا وحضارتنا الإسلاميَّة الراقيَّة في أُسُسِها وقيَمِها ومُثلِها وأخلاقها، وعقائدها وعباداتها ومعاملاتها.

عقليَّة تعي الدور الرساليَّ والقياديَّ للبشريَّة المنوط بها لتحقيق الأهداف الكبرى للإسلام.

عقليَّة ﴿لِتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

عقليَّة فاعلة متفاعلة، تعرف ما يمكن أنْ تعطيه لأصحاب الخواء الروحيِّ والثقافيِّ والاجتماعيِّ، أصحاب الحيرة والتِّيه والفراغ، العطاشَى المتلهِّفين للخلاص مِنْ براثن المادة وفتن الحياة الجافة.

عقليَّة تعرف ما تأخذ وما تترك.

عقليَّة غير العقليَّة السطحيَّة المنبهرة.

عقليَّة تعرف التميُّز الذي أراده الله تعالى لها، وتثبت عليه، وأنها فاعلٍ لا مفعول.

عقليَّة تعرف التوازن بين الدنيا والآخرة، بين الجسد والروح، بين العقل والشرع، بين العلم والمعرفة، بين الحقوق والواجبات.

إنها عقليَّة: «**المُغِيْرَةَ بْنِ شعْبَةَ، وَرِبْعِيِّ بْنِ عَامِرٍ**».

عقليَّة جيل القدوة، **عقليَّة** من يعرف خطورة المهنة الدعويَّة الملقاة على عاتقه.

• قال **الإمام ابن كثير**[1]: « قَالَ سَيْفٌ عَنْ شُيُوخِهِ: وَلَمَّا تَوَاجَهَ الْجَيْشَانِ بَعَثَ رُسْتُمُ إِلَى سَعْدِ بْنِ أبي وقَّاصٍ ﷺ أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْهِ بِرَجُلٍ عَاقِلٍ عَالِمٍ بِمَا أَسْأَلُهُ عَنْهُ.

فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ ﷺ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ جَعَلَ رُسْتُمُ يَقُولُ لَهُ: إِنَّكُمْ جِيرَانُنَا وَكُنَّا نُحْسِنُ إِلَيْكُمْ، وَنَكُفُّ الْأَذَى عَنْكُمْ، فارْجِعُوا إِلَى بِلادِكُمْ وَلا نَمْنَعُ تجارَتَكُمْ مِنَ الدُّخُولِ إِلَى بِلَادِنَا.

فَقَالَ لَهُ الْمُغِيرَةُ: إِنَّا لَيْسَ طَلَبُنَا الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا هَمُّنَا وَطَلَبُنَا الْآخِرَةُ، وَقَدْ بَعَثَ اللهُ إِلَيْنَا رَسُولًا. قَالَ لَهُ: إِنِّي قَدْ سَلَّطْتُ هَذِهِ الطَّائِفَةَ عَلَى مَنْ لَمْ يَدِنْ بِدِينِي فَأَنَا مُنْتَقِمٌ بِهِمْ مِنْهُمْ، وَأَجْعَلُ لَهُمُ الْغَلَبَةَ مَا دَامُوا مُقِرِّينَ بِهِ، وَهُوَ دِينُ الْحَقِّ، لَا يَرْغَبُ عَنْهُ أَحَدٌ إِلَّا ذَلَّ، وَلَا يَعْتَصِمُ بِهِ إِلَّا عَزَّ.

فَقَالَ لَهُ رُسْتُمُ: فَمَا هُوَ؟ فَقَالَ أَمَّا عَمُودُهُ الذي لا يَصْلُحُ شيء مِنْهُ إِلَّا بِهِ: فَشَهَادَةُ أَنْ لَا

---

(١) «البداية والنهاية» (٧/ ٣٩-٤٠).

إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَالْإِقْرَارُ بِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ الله، فَقَالَ مَا أَحْسَنَ هَذا؟! وأيُّ شيء أَيْضًا؟ قَالَ: وَإِخْرَاجُ الْعِبَادِ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ الله.

قَالَ: وَحَسَنٌ أَيْضًا، وَأَيُّ شيء أيضاً؟ قال: والناسُ بَنُو آدَمَ وحوَّاءَ، فَهُمْ إِخْوَةٌ لِأَبٍ وَأُمٍّ، قَالَ: وَحَسَنٌ أَيْضًا.

ثُمَّ قَالَ رُسْتُمُ: أَرَأَيْتَ إِنْ دَخَلْنَا فِي دِينِكُمْ أَتَرْجِعُونَ عَنْ بِلَادِنَا؟ قَالَ: إِي وَاللهِ ثُمَّ لَا نَقْرَبُ بِلَادَكُمْ إِلَّا فِي تِجَارَةٍ أَوْ حَاجَةٍ. قَالَ: وَحَسَنٌ أَيْضًا.

قَالَ: وَلَمَّا خَرَجَ الْمُغِيرَةُ مِنْ عِنْدِهِ ذَاكَرَ رُسْتُمُ رُؤَسَاءَ قومه في الإسلام فأنِفُوا ذَلِكَ، وَأَبَوْا أَنْ يَدْخُلُوا فِيهِ - قَبَّحَهُمُ اللهُ وَأَخْزَاهُمْ وَقَدْ فَعَلَ -.

قالُوا: ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِ سَعْدٌ رَسُولًا آخَرَ بِطَلَبِهِ، وَهُوَ رِبْعِيُّ بْنُ عَامِرٍ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَقَدْ زَيَّنُوا مَجْلِسَهُ بِالنَّمَارِقِ الْمُذَهَّبَةِ وَالزَّرَابِيِّ الْحَرِيرِ، وَأَظْهَرَ الْيَوَاقِيتَ وَاللَّآلِئَ الثَّمِينَةَ، وَالزِّينَةَ الْعَظِيمَةَ، وَعَلَيْهِ تَاجُهُ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْأَمْتِعَةِ الثَّمِينَةِ، وَقَدْ جَلَسَ عَلَى سَرِيرٍ مِنْ ذَهَبٍ. وَدَخَلَ رِبْعِيٌّ بِثِيَابٍ صَفِيقَةٍ وَسَيْفٍ وَتُرْسٍ وَفَرَسٍ قَصِيرَةٍ، وَلَمْ يَزَلْ رَاكِبَهَا حَتَّى دَاسَ بِهَا عَلَى طَرَفِ الْبُسَاطِ، ثُمَّ نَزَلَ وَرَبَطَهَا بِبَعْضِ تِلْكَ الْوَسَائِدِ، وَأَقْبَلَ وَعَلَيْهِ سِلَاحُهُ وَدِرْعُهُ وَبَيْضَتُهُ عَلَى رَأْسِهِ.

فَقَالُوا لَهُ: ضَعْ سِلَاحَكَ. فَقَالَ: إِنِّي لَمْ آتِكُمْ، وَإِنَّمَا جِئْتُكُمْ حِينَ دَعَوْتُمُونِي فَإِنْ تَرَكْتُمُونِي هَكَذَا وَإِلَّا رَجَعْتُ.

فَقَالَ رُسْتُمُ: ائْذَنُوا لَهُ، فَأَقْبَلَ يَتَوَكَّأُ عَلَى رُمْحِهِ فَوْقَ النَّمَارِقِ فَخَرَّقَ عَامَّتَهَا، فَقَالُوا لَهُ: مَا جَاءَ بِكُمْ؟ فَقَالَ: اللهُ ابْتَعَثَنَا لِنُخْرِجَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ الله، وَمِنْ ضيق الدنيا إلى سَعَتِهَا، وَمِنْ جَوْرِ الْأَدْيَانِ إِلَى عَدْلِ الْإِسْلَامِ، فَأَرْسَلَنَا بِدِينِهِ إِلَى خَلْقِهِ لِنَدْعُوَهُمْ إِلَيْهِ، فَمَنْ قَبِلَ ذَلِكَ قَبِلْنَا مِنْهُ وَرَجَعْنَا عَنْهُ، وَمَنْ أَبَى قَاتَلْنَاهُ أَبَدًا حَتَّى نُفْضِيَ إِلَى مَوْعُودِ الله.

قَالُوا: وَمَا مَوْعُودُ الله؟ قَالَ: الْجَنَّةُ لِمَنْ مَاتَ عَلَى قِتَالِ مَنْ أَبَى، وَالظَّفَرُ لِمَنْ بَقِيَ.

فَقَالَ رُسْتُمُ: قَدْ سَمِعْتُ مَقَالَتَكُمْ فَهَلْ لَكُمْ أَنْ تُؤَخِّرُوا هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى نَنْظُرَ فِيهِ وَتَنْظُرُوا؟ قَالَ نَعَمْ! كَمْ أَحَبُّ إليكم؟ يوماً أَوْ يَوْمَيْنِ؟ قَالَ: لَا، بَلْ حَتَّى نُكَاتِبَ أَهْلَ

رَأْيِنَا وَرُؤَسَاءَ قَوْمِنَا.

فَقَالَ: مَا سَنَّ لَنَا رَسُولُ الله ﷺ أَنْ نُؤَخِّرَ الْأَعْدَاءَ عِنْدَ اللِّقَاءِ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثٍ، فَانْظُرْ فِي أَمْرِكَ وَأَمْرِهِمْ، وَاخْتَرْ وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثٍ بَعْدَ الْأَجَلِ، فَقَالَ: أَسَيِّدُهُمُ أَنْتَ؟ قَالَ! لَا: وَلَكِنَّ الْمُسْلِمِينَ كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ، يُجِيرُ أَدْنَاهُم عَلَى أَعْلاهُمْ.

فاجتمعَ رُسْتُمْ برؤوساءِ قَوْمِهِ فَقَالَ: هَلْ رَأَيْتُمْ قَطُّ أَعَزَّ وَأَرْجَحَ مِنْ كَلَامِ هَذَا الرَّجُلِ؟ فَقَالُوا مَعَاذَ الله أن تميل إلى شَيْءٍ من هذا وتدع دينك إلى هذا الْكَلْبِ، أَمَا تَرَى إِلَى ثِيَابِهِ؟ فَقَالَ: وَيْلَكُمْ لَا تَنْظُرُوا إِلَى الثِّيَابِ، وَانْظُرُوا إِلَى الرَّأْيِ وَالْكَلَامِ وَالسِّيرَةِ. إِنَّ الْعَرَبَ يَسْتَخِفُّونَ بِالثِّيَابِ وَالْمَأْكَلِ، وَيَصُونُونَ الْأَحْسَابَ».

ونحن نقول: **إنَّها ـ واللّه ـ عزَّةُ الإسلام !**

٧- العودة إلى التربية مع التعليم، حتَّى يؤدِّي التعليم رسالته، ولا يتحوَّل يومًا ما إلى إلحاديَّة أو ماديَّة منفعيَّة ذاتيَّة. فنسقي مع المعارف العقيدة الراسخة المتميِّزة، وندرس مع العلوم والحساب والدراسات: القرآنَ وعلومه مِنْ تجويد وتفسير، والحديث وعلومه، والفِقْه وأحكامه، والسيرة النبويَّة، ومناقب الصحابة ﷺ، واللغة العربيَّة هُوِيَّتنا، أجمل اللغات وأمتعها، وندرس الأخلاق مع الفن والألعاب.

٨- إصلاح الأجيال التي فسدت في عصور الاستبداد والاستعباد، وتوجيهها إلى النافع والمفيد، والتوازن بين الحاجات والدِّراسات.

٩- الاهتمام بالتعليم التِّقني التكنولوجيِّ العلميِّ، على قدر أكبر وأوسع مِنَ الاهتمام بالتعليم النظريِّ، وإعادة التلمذة الصناعيَّة، ومراكز التدريب المهنيِّ على أحدث المستويات العالميَّة، وكذلك الدراسات الزراعيَّة والتعاونيَّة، واستغلال ما لدينا مِنْ إمكانيَّات وثروات وخبرات.

١٠- الاهتمام بالاقتصاد، وإتقان الإنتاج وتحسينه، وتشجيع الاستثمار المحليِّ والعربيِّ والإسلاميِّ التعاونيِّ التكامليِّ التجميعيِّ لصناعات عملاقة، واستبدال البنوك الرِّبويَّة بشركات مساهمة فعَّالة تتوجَّه حسب خطط قوميَّة تُراعَى فيها مصالح العباد والبلاد.

❁ ❁ ❁

▫ فصل: هل نحن أحرار في اختيار ما نشاء من نظم وسياسات؟ أو هل نحن مسيّرون في ذلك أم مجبرون ؟!

وللإجابة عن هذا التساؤل علينا أنْ نفهم معنى الحريَّة، ومعنى الجبر والاختيار في ضوء التكاليف والمهامِّ التي نُكلَّف بها.

وقد سبق الحديث عن الحريَّة وشروطها في ثنايا هذا البحث، ولكن من المفيد أن نزيد ونوضِّح المسألة أكثر عندما نوضِّح الفرق بين الحريَّة على حقيقتها التي هي ضدَّ الأسر والاستعباد والسِّجن والقيود، وبين حريَّة الفَوْضَى وفَوْضَى الحريَّة، فلا يمكن أبدًا أنْ يكون كلُّ شيء مباحًا، ولا يمكن أن يكون كلُّ شيء له حدودٌ وقيودٌ.

• فلا بُدَّ **أولاً**: أنْ نحافظ على حريَّات الآخرين، وندافع عنها كما نحبُّ أنْ يحافظ الآخرون على حريَّتنا، وندافع عنها كما نحبُّ أنْ يحافظ الآخرين على حريَّتنا وخصوصيَّتنا ويدافعوا عنها.

(فلا يؤمن المسلم بالله واليوم الآخر إلَّا وهو يأتي الناس بالذي يُحبُّ أن يُؤتَى إليه، وأنْ يحبَّ لأخيه ما يُحبُّه لنفسه من الخير)، كما علَّمنا رسولنا ومعلِّمنا وقدوتنا ﷺ.

ثانيًا: مِنَ التفكير الطفوليِّ أن ينشد الإنسان هذه الحريَّة فتدفعه ليفعل ما يشاء، فقد يتصوَّر الإنسان أنه حرٌّ في أن يتَّخذ ما يشاء مِنْ قرارات حتَّى ولو كان هذا القرار فيه هلاكه أو حتَّى انتحاره، فهذه حريَّة أصحاب الخيالات المريضة، والأوهام العليلة السقيمة.

ثالثا: الهرم الوظيفيُّ في الحياة يقتضي أنك طفل صغير في رعاية أبوين كريمين يَحُدَّان مِنْ أفعالك الضارَّةِ، وتخضع للنظام الأسَرِيِّ، ثم تذهب إلى المدرسة وتخضع لتوجيهات المدرِّسين والمربِّين، ولنظام المدرسة ومواعيدها، ثم تخرج إلى الحياة فتخضع للسمع والطاعة إنْ كان عليك فترة تجنيد إلزاميٍّ أو اختياريٍّ، ثمَّ تتوجَّه إلى عمل ووظيفة تخضع فيها لقوانين العمل ونظام الإدارة فيه، ثم تتزوَّج فتُملَى عليك شروطٌ ونظمٌ اجتماعيَّة وقوانين للأسرة، ثمَّ .. فمتى تكون حُرًّا إذن لتفعل ما تشاء وتشتهي ما تشاء ؟!

إنَّ هذه الحريَّة لا تتحقَّق إلّا في الجنَّة في الآخرة، حيث خصَّ الله تعالى بأن لهم ما

يشاءون، ولهم فيها ما يشتهون.

رابعًا: هل تملك لك سعادة أو شقاوة؟ هل تملك لك شفاءً أو سلامة؟! هل تملك لك غِنًى أو فقرًا؟! لا تكابر: لأن مظاهر الضعف البشريِّ ملازمة لك، ومعظمها قد يكون مصدره الذات نفسها، وبعضها قد يكون من وجود الإنسان في دائرة معيَّنة محدودة ذات نشاط محدود، وبعضها من العالم الخارجي المحيط بك، وبعضها مِنَ القيم والمبادئ والعادات والتقاليد التي قد ترسَّبت بداخلك، فليس هناك إرادة مطلقة.

خامسًا: الحريَّة تتوقَّف على وجود الظروف أو الفرص الضروريَّة التي تسمح بتطوُّر ونموِّ قدرات المرء بعيدًا عن الإمعيَّة والتقليد.

سادسًا: وجودك مرتبط بزمان محدَّد، ومكان محدَّد، وجود له ظروفه ومواقفه، له ارتباطات وعلاقات بما حوله مِنْ ذوات وأشياء.

سابعًا: إنْ أردت أنْ تكون حُرًّا فانظر إلى قُدرتك على التعديل والتحويل والتغيير.

ثامنًا: الإنسان يصلح أن يكون مصدرًا للقيم والمبادئ والمُثُل والمعايير، لا يمكن أنْ يكون معيارًا للحق والخير والجمال، وإلَّا فلو كان كذلك لتنكَّر للوحي، لأنَّ الله سبحانه هو المعيار الأوحد للحقيقة وللحقِّ وللحلال وللحرام لا غير.

تاسعًا: لا بُدَّ أنْ تكون الأهداف واضحة، والسُّبُل الموصلة إليها كذلك، وبينهما فنُّ صناعة الهدف وحُسن التخطيط له، ولا بُدَّ مِنْ شرعيَّة الأهداف والوسائل، وذلك حتَّى نتجنَّب الاختلاف حسب الأهواء، أو الضغوط التي تملَى علينا مِنْ أنَّ الغاية تبرِّر الوسيلة مما لا مجال له في ديننا أو بيئتنا.

عاشرًا: عليك أنْ تعلم أنك حرٌّ في أنْ تختار بين الاحتمالات المختلفة، دون قَسْرٍ أو إكراه، وأنت مسئول عن كل الاختيارات التي يتمُّ اختيارها بإرادتك، وستحاسب مِنْ أجل ذلك عليها. قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ [الطلاق: ٧].

وكثيرًا ما تؤدِّي هذه الحريَّة في الاختيار إلى القلق والتردُّد بين الاحتمالات، ولا سبيل إلى الوصول إلى الطمأنينة والسكينة إلَّا برفع الجهل، أي: بالعلم بالله والقُرب منه، والاستعانة به، وصلاة الاستخارة بتفويض الأمر له، واستشارة الصَّالحين.

وكلُّ هذا مِنْ لوازم العبوديَّة والصِّلة بين العبد وربه، لأنَّ مَنْ ينْخَلع مِنْ عبادة الله تعالى وعبوديَّته يصير عبدًا لهواه وشهواته، بل قد يصير عبدًا لكل حقير ودنيءٍ على وجه الأرض.

• لذلك نقول: إنَّ الحريَّة المطلقة لا وجود لها، وقد تكون سوء أدب، والاختيار لك:

إمَّا أنْ تكون عبدًا لمولاك، تختار وتتحرَّك في إطار هذه العبوديَّة، وإمَّا أن تكون عبدًا لهواك، ولا ثالث لهما، فأنت عبد شئت أم أبيت!

واعلم أنك طالما كنت عبدًا لله ﷻ فأنت تنبض بالحياة، وتخطو قدماك نحو المستقبل: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ١٠]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].

• يقولون: أنت حُرٌّ ما لم تضُرَّ، ويقولون: حريَّتك تنتهي حيث تبدأ حريَّة الآخرين.

فإنْ سلَّمنا جدلًا بصحَّة هذه العبارات، ولا نُسَلِّمُ:

ولكن ماذا عن ضررك لنفسك ؟! هل أنت حر في أن تضر بنفسك كما تشاء؟ تشوه جسدك أو تمزقه، أو تتاجر فيه وتبيعه؟!

أو تشرب الخمر .. أو أن تزني .. أو تعطي المرأة جسدها متعة لكل طالب متعة؟!

هل أنت حرٌّ في مالك تمزقه أو تحرقه، أو تحرم ورثتك منه، أو توقفه للقطط والكلاب (كما يحدث في الغرب) ؟!

ألا تعتقد أنك عندما تكون جميلًا في أفكارك واعتقادك وتصرُّفاتك، وقتها سوف ترى الكون جميلًا مِنْ حولك.

❁ ❁ ❁

حقيقة النشطاء الأمريكيِّين

أمريكا غاضبة جدًّا مِنْ مصر، وتهدد بالويل والثبور وعظائم الأمور، وتلوح كالعادة بقطع المعونة الملعونة.. والسبب يرجع إلى منع ستة مواطنين أمريكيين مِنْ مغادرة الأراضي المصريَّة، والتحقيق معهم في تهمة تتعلق بمخالفة القانون، وإدارة منظمة مدنيَّة غير مسجَّلة تعمل بالسياسة والحصول منها على أجر.

المواطنون الأمريكيِّون يُطلَق عليهم «نشطاء أمريكيُّون» ويتقدَّمهم سام لحود ابن وزير النقل الأمريكيِّ راي لحود .. ويعمل هؤلاءِ النشطاء في منظَّمتين تابعتين للحزبين الأمريكيِّين الكبيرين؛ المنظمة الأولى باسم «المعهد الجمهوريّ الدوليّ» والثانية باسم «المعهد الوطنيّ الديمقراطيّ».. ويقال إنهما تعملان في مجال الديمقراطيَّة وحقوق الإنسان.

وقد جاء التحقيق مع هؤلاءِ المواطنين الأمريكيِّين -أو النشطاء- في إطار الإجراءات التي اتَّخذتها السلطات المصريَّة مؤخَّرًا ضدَّ المنظَّمات التي تعمل خارج القانون، وتتلقَّى تمويلًا مِنَ الخارج.

والسؤال البديهيُّ الذي يتبادر إلى الأذهان هو: **ماذا يفعل هؤلاءِ النشطاء الأمريكيُّون في بلادنا؟! وإذا كانوا يتقاضون مرتبات وأجورًا فمن الذي يدفع لهم؟ ولماذا؟ .. وهل هذه المرتبات تقتطع من المعونة المزعومة ؟!**

ثم يأتي السؤال الأهم: **لماذا لا ينشط هؤلاءِ النشطاء في بلادهم ويتركوننا وشأننا؟! أم أنه من ضرورات المعونة وشروطها: السماح لهؤلاءِ وغيرهم كي يعيثوا في بلادنا فسادًا وإفسادًا دون أن نعرف ماذا يفعلون بالضبط؟!**

إنني أجزم بأن حالة الانقسام والفَوْضَى والتشرذم التي تعاني منها مصر حاليًا، وسوف تعاني منها أكثر وأكثر في الأيام القادمة ليست إلَّا ثمرة هذا النشاط المريب الذي لا رقيب عليه ولا حسيب.. والذي يقوم به أمريكيُّون وغير أمريكيِّين تحت لافتة الديمقراطيَّة وحقوق الإنسان، بينما الحقيقة أنه عمل استخباراتيٌّ مِنَ الطراز الأول.

ولا بُدَّ أنْ نعترف بأنه تمَّ فتح أبوابنا على مصاريعها في الفترة الأخيرة مِنْ حُكم مبارك وإلى اليوم أمام الأنشطة المريبة.. كانَ مبارك يفعل ذلك بهدف تمرير مشروع التوريث، والصمت على فساده واستبداده.. والآن لم يجرؤ أحد على فتح هذا الملف الشائك خوفًا على الشريك الأمريكيِّ مِنْ أن يغضب أو يسحب تأييده ودعمه.. أو يقطع معونته.

وقد أدَّت خطوة توقيف المواطنين الأمريكيِّين الستة ومنعهم من السفر إلى إثارة الإدارة الأمريكيَّة .. خصوصًا أن المسألة جدُّ خطيرة.. ولو سارت الأمور في وضعها الطبيعيِّ فمن الممكن أنْ يحكم على هؤلاءِ النشطاء الأمريكيِّين بالسجن خمس سنوات.

لذلك سارعت فيكتوريا أولاند المتحدثة باسم الخارجيَّة الأمريكيَّة إلى التصريح بأنَّ واشنطن تحثُّ حكومة مصر على رفع هذه القيود فورًا والسماح لهؤلاءِ الأشخاص بالمجيء إلى وطنهم في أقرب وقت ممكن.. ويحدونا الأمل في حلِّ هذا الأمر في الأيام المقبلة.

❁❁❁

أمَّا السيناتور الجمهوريُّ البارز «جون ماكين» الذي يدير المعهد الجمهوريَّ الدوليَّ فقد أعرب عن انزعاجه وغضبه مما أسماه بـ«التحوُّل الجديد المثير للقلق».

وهكذا بدأت حملة التخويف والابتزاز ضدَّ السلطات المصريَّة.. وسوف تظهر نتيجة هذه الحملة خلال الأيام القليلة القادمة.. إمَّا بسرعة الإفراج عن النشطاء وترحيلهم، أو إدخالهم في صفقة بنفس سيناريو الجاسوس الأمريكيِّ الصهيونيِّ جرابيل.

وفي كلِّ الأحوال فلا بُدَّ أن يدرك القائمون على السلطة في واشنطن أن الشعب المصريَّ ضدَّ هذه المنظَّمات الأمريكيَّة وأنشطتها المريبة.. والمشكلة ليست في الحكومة أو في المجلس العسكريِّ، وإنما في الشعب المصريِّ نفسه الذي يريد طرد هذه المنظَّمات والتخلُّص منها.. حتَّى ولو كان الثمن قطع المعونة العسكريَّة السنويَّة التي تقدَّر قيمتها بـ (١,٣) مليار دولار.. وهي المعونة التي تستخدمها واشنطن وسيلة للابتزاز والضغط علينا.

ويبقى على البرلمان الجديد.. برلمان الثورة.. أنْ يبحث في هذا الأمر جيِّدًا في إطار استراتيجيَّة جديدة لمصر المستقبل.. تتخلَّص فيها من نقطة الضعف الأمريكيَّة إلى الأبد.. والمعلوم أن أموال المعونة تذهب إلى أصدقاء أمريكا ورجالها ومواطنيها الذين يفسدون في بلادنا ولا يصلحون مهما ادَّعَوْا غير ذلك.

نريد أنْ ننفَطِم عن الدعم الأمريكيِّ والمعونة الأمريكيَّة، ونبحث عن بدائل ذاتيَّة تشدُّ عضدنا وتقوِّي ظهرنا؛ لأننا لو سِرْنا على نهج مبارك في الفلك الأمريكيِّ فلنْ تقوم لنا قائمة إلى الأبد.. وقديمًا قالوا: «ما حكَّ جلدَك مثلُ ظفرِك.. فتولَّ أنت جميعَ أمرِك».

❁❁❁